المحاضرة الخامسة: المراثي النّبويّة

1-مفهوم الرّثاء

2-مفهوم المراثي النّبويّة

3-خصائصها

1-مفهوم الرّثاء:

هو "فن يعبّر به الشّاعر عن عاطفته نحو ميّت. فيبكيه ويعدّد مزاياه ويتأمّل في الحياة والموت".

قال ابن رشيق (العمدة): "وليس بين الرّثاء والمدح فرق إلاّ أن يخلط بالرّثاء شيء يدلّ على أنّ المقصود به ميّت مثل "كان" أو "عدمنا به كيت وكيت"، أو ما يشاكل هذا ليعلم أنّه ميّت، وسبيل الرّثاء أن يكون ظهار التّفجّع بيّن الحسرة مخلوطا بالتّلهّف والأسف والاستعظام، إن كان الميّت ملكا أو رئيسا كبيرا".

ويوافقه في ذلك قدامة بن جعفر (نقد الشّعر) حيث يقول: "ليس بين المرثية والمدحة فصل إلاّ أن يذكر في اللّفظ ما يدلّ على أنّه هالك، مثل: كان وتولّى وقضى نحبه، وما أشبه ذلك وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه لأنّ تأبين الميّت إنّما هو يمثّل ما كان يمدح في حياته".

والرّثاء من الأغراض الشّعرية القديمة التي عرفت منذ العصر الجاهلي، ويكثر في شعر الجاهليين لكثرة الحروب والغارات والمعارك التي كانت تخلّف وراءها الكثير من القتلى، ناهيك عن الأخذ بالثّأر...الخ، ومن الذين اشتهروا بالرّثاء في هذا العصر مُهَلْهِل بن ربيعة (رثى أخاه كليب) والخنساء (رثت أخوها صخر).

واستمرّ هذا الغرض في عصر صدر الإسلام، "والمسلمون الأوائل اضطروا إلى محاربة المشركين وخوض الفتوحات الإسلاميّة فاستشهد منهم الكثير، وقتل ظلما بعض الخلفاء وكبار الصّحابة فكان ذلك من الدّوافع التي دفعت شعراء الإسلام إلى هذا الغرض".

2- المراثي النّبويّة:

نقصد بها كل "شعر قيل في وفاة الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم حزنا عليه، أو ثناء، أو ترحّما، أو غير ذلك من معاني الرّثاء"، بمعنى آخر هي كل شعر قيل في رثاء النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم بعد وفاته.

كانت وفاة النّبي صلى الله عليه وسلّم فاجعة كبيرة على الصّحابة رضوان اللّه عليهم والمسلمين عامّة، لأنّهم لم يعتادوا غيابه عن حياتهم، فعمّت الحسرة والحزن والألم لفقده، فبكاه الشّعراء في شعرهم وأظهروا حزنهم عليه وشوقهم إليه، واستفاضوا في ذكر خصاله الكريمة وأخلاقه الحميدة وسيرته المجيدة.

3- خصائصه:

1- الصّلاة والسّلام على النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم:

كقول حسّان بن ثابت:

صلَى الإلَه عَلى ابن آَمنَة الذي جاَءَت به سَّبط البنان كَريمًا

يَا أيها الراجون منه شفاَعَة صلّوا عَليه وسلموا تسليما

2- التّعبير عن الفاجعة التي أصابت المسلمين والصّحابة بعد وفاته صلّى الله عليه وسلم:

كقول حسّان بن ثابت:

وما فقد الماضون مثل محمّد ولا مثله حتّى يوم القيامة يفقد

3- التذكير بأخلاقه صلى الله عليه وسلم والثّناء عليه:

ومن ذلك قول حسّان بن ثابت:

إمام لهم يهديهم للحقّ جاهدا معلّم صدق إن يطيعوه يسعدوا

عفوّ عن الزّلاّت يقبل عذرهم وإن يحسنوا اللّه بالخير أجود

4- التّأكيد على عظم الفجيعة: من خلال التّكرار.

كقول كعب بن مالك:

فإن تبكه تبك خير الأنام كثير الفواضل لا يجدب

وإن تبكه تبك سهل الجنا ب محض الضّرائب لا يؤشب

5- التّساؤل عن مصير المسلمين والحكم من بعد النّبي صلّى الله عليه وسلّم:

مع الإشارة إلى الصّحابة رضوان اللّه عليهم الذين هم أهل لتولي الحكم من بعده، فهم أصحابه المقتدون به والسّائرون على نهجه:

كقول عبد الله بن أنيس:

فيا ليت شعري من يقوم بأمرنا وهل لقريش يا إمام منازع

ثلاثة رهط من قريش هم هم أزمّة هذا الأمر و الله صانع

على أو الصديق أو عمر لها وليس لها بعد الثّلاثة رابع